

تفسير البحر المحيط

@ 380 أي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء { مِّنْ هَآذِآ } أي من هذا العمل الذي وصف به المؤمنون أو من الكتاب الذي لدينا أو من القرآن ، والمعنى من اطراح هذا وتركه أو يشير إلى الذين بجملته أو إلى محمد صلى الله عليه وسلم) أقوال خمسة { وَلَآهٖمُ ۚ أَعْمَالٌ } من دون ذلك أي من دون الغمرة والضلال المحيط بهم ، فالمعنى أنهم ضالون معرضون عن الحق ، وهم مع ذلك لهم سعايات فساد وصفهم تعالى بحالتي شر قال هذا المعنى قتادة وأبو العالية ، وعلى هذا التأويل الإخبار عما سلف من أعمالهم وعما هم فيه . وقيل : الإشارة بذلك إلى قوله { مِّنْ هَآذِآ } وكأنه قال لهم أعمال من دون الحق ، أو القرآن ونحوه . وقال الحسن ومجاهد : إنما أخبر بقوله { وَلَآهٖمُ ۚ أَعْمَالٌ } عما يستأنف من أعمالهم أي أنهم لهم أعمال من الفساد . وعن ابن عباس { أَعْمَالٌ } سيئة دون الشرك . وقال الزمخشري { وَلَآهٖمُ ۚ أَعْمَالٌ } متجاوزة متخطئة لذلك أي لما وصف به المؤمنون هم معتادون وبها ضارون ولا يفظمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب و { حَتَّى } هذه هي التي يبدأ بعدها الكلام ، والكلام الجملة الشرطية انتهى . وقيل الضمير في قوله { بَلَّ } يعود إلى المؤمنين المشفقين { هٖمُ ۚ فِى غَمْرَةٍ } من هذا وصف لهم بالحيرة كأنه قيل { وَهٖمُ ۚ } مع ذلك الخوف والوجل كالمتحيرين في أعمالهم أهي مقبولة أم مردودة } ولهم أعمال من دون ذلك أي من النوافل ووجه البرسوى ما هم عليه ، ويريد بالأعمال الأول الفرائض ، وبالثاني النوافل . .

{ حتى إذا أخذنا مترفيهم } رجوع إلى وصف الكفار قاله أبو مسلم . قال أبو عبد الله الرازي : وهو أولى لأنه إذا أمكن رد الكلام إلى ما اتصل به كان أولى من رده إلى ما بعده خصوصاً وقد رغب المرء في الخير بأن يذكر أن أعمالهم محفوظة كما يحذر بذلك من الشر ، وأن يوصف بشدة فكرة في أمر آخرته بأن قلبه في غمرة ، ويراد أنه قد استولى عليه الفكر في قبوله أو رده وفي أنه هل أداه كما يجب أو قصر فإن قيل : فما المراد بقوله { مِّنْ هَآذِآ } ؟ قلنا : إشارة إلى إشفاقهم ووجلهم بين استيلاء ذلك على قلوبهم انتهى . وتقدم قول الزمخشري في { حَتَّى } أنها التي يبدأ بعدها الكلام ، وأنها غاية لما قبلها ، وقد رد ذلك أنهم معتادون لها حتى يأخذهم الله بالعذاب . وقال الحوفي { حَتَّى } غاية وهي عاطفة ، { إِذِآ } ظرف يضاف إلى ما بعده فيه معنى الشرط { إِذِآ } الثانية في موضع جواب الأولى ، ومعنى الكلام عامل في { إِذِآ } والتقدير جأروا ، فيكون جأد العامل في { إِذِآ } الأولى ، والعامل في الثانية { أَخَذْنَا } انتهى وهو كلام مخبط ليس أهلاً أن يرد

وقال ابن عطية و { حَتَّى } حرف ابتداء لا غير ، و { إِذًا } الثانية التي هي جواب
يمنعان من أن تكون حتى غاية لعاملون انتهى . وقال مكى : أي لكفار قريش أعمال من الشر
دون أعمال أهل البر { لَهَا عَامِلُونَ } إلى أن يأخذوا أهل النعمة والبطر منهم {
بِالْعَذَابِ إِذًا هُمْ } يصجون ويستغيثون ، والمترفون المنعمون والرؤساء والعذاب
القحط سبع سنين والجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال : (اللهم اشد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فابتلاههم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف
والكلاب والعظام المحترقة والقذ والأولاد . وقيل : العذاب قتلهم يوم بدر . وقيل : عذاب
الآخرة ، والظاهر أن الضمير في { إِذًا هُمْ } عائد على { مُتْرَفِيهِمْ } إذ هم المحدث
عنهم صاحوا حين نزل بهم العذاب . وقيل : يعود على الباقيين بعد المعذبين . قال ابن جريج
: المعذبون قتلى بدر ، والذين { يَجْتَرُونَ } أهل مكة لأنهم ناحوا واستغاثوا . .
{ لَا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ } أي يقال لهم إما حقيقة تقول لهم الملائكة ذلك وإما
مجازاً أي لسان الحال يقول ذلك هذا إن كان الذين يجأرون هم المعذبون وعلى قول ابن جريج
ليس القائل الملائكة . وقال قتادة { يَجْتَرُونَ } يصرخون بالتوبة فلا يقبل منهم . وقال
الربيع بن أنس : تجأرون تجزعون ، عبر بالصراخ بالجزع إذ الجزع سبه { إِذًا كُمْ مِّنَّا
لَا تُنصَرُونَ } أي لا تمنعون من عذابنا أو لا يكون لكم نصر من جهتنا ، فالجوار غير نافع
لكم ولا مجد . .

{ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي } هي آيات القرآن { تَنكصُونَ } ترجعون استعارة للإعراض عن
الحق . وقرأ علي بن أبي طالب { تَنكصُونَ } بضم الكاف والضمير في { بِهِ } عائد على
المصدر الدال عليه { تَنكصُونَ } أي بالنكوص والتباعد من سماع الآيات أو على الآيات
لأنها في معنى الكتاب ، وضمن { مُسْتَكْبِرِينَ } معنى مكذابين فعُدِّي بالباء أو تكون
الباء